معنا فليقتصرن من العلم على القليل النافع المفيد للمنزل والمناسب للوسط والحالة الحاضرة حتى اذا تقدمنا نحن خطوة الى الامام تقدمن هن ايضاً الى ان نتحرر جميعا من رق الشرقية ونوازى رجال ونساء اوربا واميركا وعند ذلك نعرف قدرهن ونعطيهن حقوق نظيراتهن في تلك البلاد. وساعود الى الكلام عن مدارس البنات في فرصة اخرى «نجيب حاج»

﴿ الشعر العصري ﴾

١٣

المقدمة

نذكر الآن جنايات الشعر وجرائره التي جناها على قائليه وجرها على ناظميه فهو لم يكن وسيلة نفع خالص لهم ولا سبب خير صرف ولكنه قد جمع بين طرفي النفع والضر وجانبي الخير والشر نالوا به الزلفى لدى الملوك والامراء واستدنوا به مودة العظماء والكبراء فرجع طلاب العرف منهم وهم ملأى الحقائب وعاد خطاب الجاه وهم عالو المناصب ثم رفع به مفتخرهم بيت قوم وشيده وشرف حسبهم ومجده فابقى لهم ذكراً حميداً وفخراً مديداً ولكن بقدر هذه المنح التي منحها الشعراء كانت محنهم التي ابتلوا بها فاما ما عاناه بعضهم من حسد البعض وما وقع فيه من المكائد بسبب ذلك فشيء ندعه جانباً

لعمومه وشهرته وحسبنا ان نذكر منه ما وقع للمتنبي مع سيف الدولة الذي قال فيه قصيدته

(واحر قلباه ممن قلبه شبم)

فبينا هو بين يديه ينشده القصيدة وبحضرته بعض حساده اذ هاجوا عليه غضبه لقول قاله فيها حتى كان من ذلك ان رماه بالدواة في وجهه فجرحه وفي ذلك يقول ابو الطيب

ان كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا ارضاكم ألم

وهل قتل المتنبي الا بيته الذي يقول فيه

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

ولعله هو بعينه الذي جعل حساده يغضبون ممدوحه عليه فتأمل.

وهذا سديف بن ميمون لم يقتله غير شعره ولم يجن عليه سوى لسانه. قالوا لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة فبايعه اهلها واهل مكة وخرج ابرهيم اخوه بالبصره فتغلب عليها وعلى الاهواز وكان الامر يومئذ لابي جعفر قال سديف في ذلك

ان الحمامة يوم الشعب من حضن هاجت فؤاد محب دائم الحزن

انا لنأمل ان ترتد الفتنا بعد التباعد والشحناء والاحن

وتنقضي دولة احكام قادتها فيها كاحكام قوم عابدي وثن

فانهض ببيعتنا ننهض بطاعتكم ان الخلافة فيكم يا بني حسن

لاعز ركن نزار عند نائبة ان اسلموك ولا ركن لذي يمن

الست اكرمهم يوماً اذا انتسبوا عوداً وانقاهم ثوباً من الدرن

واعظم الناس عند الله منزلة وابعد القوم عن عجز وعن افن

فلما سمع ابو جعفر هذه الابيات استطير بها فكتب الى عبد الصمد ابن علي ان يأخذ سديفاً فيدفنه حياً ففعل واختلفوا في الشعر فقال بعضهم لم يؤخذ سديف بهذا وانما اخذ بغيره ولاشيء في اختلافهم. وانت تعلم حديث طرفة بن العبد والمتلمس مع النعمان فلا فائدة في ذكره . فاما الاعشى فقد اقامه شعره على شفا جرف من الهلكة ماكان بينه وبين ان ينهار الى ان قال شعراً منه

فهب لي نفسي فدتك النفوس ... ولا زلت تنمى ولا تنقص

قاله لعلقمة بن علاثة ابن عم عامر بن الطفيل وكانا يتنازعان الشرف على عادة العرب فيتحاكمان الى ذوي الرأي من حكمائهم فكان من الاعشى ان قال مفضلاً عامراً على علقمة

ان الذي فيه تماريتما ... بين للسامع والناظر
ان ترجع الحكم الى اهله ... فلست بالمسدى ولا الناثر
ولست بالاكثر منهم حصى ... وانما العزة للكاثر
ولست في السلم بذي نائل ... ولست في الهيجاء بالجاسر

الى ان قال

قد قلت لما جاءني فخره ... سبحان من علقمة الفاجر

فهدر علقمة دمه واقام له الارصاد حتى ظفر به فقال الحمد لله الذي امكنني منك ثم شد وثاقه وهم بالانتقام منه فقال الاعشى شعراً منه البيت الذي ذكر في رأس الحديث واشار قوم علقمة بقتله فقال لهم اذاً تطلبوا بدمه ولا يمحى عني ماقاله ولا يعرف فضلي عند القدرة واحسن عطاءه وقال له انج حيث شئت واخرج معه من يبلغه مأمنه فقال

علقم ياخير بني عامر ... للضيف والصاحب والزائر
والضاحك السن على همه ... والغافر العثرة للعاثر

وللاعشى شعر جيد لامتسع لذكره وهذا لقيط بن يعمر الايادي من حديثه انه كان كاتباً بديوان كسرى فلما رآه مجمعاً على غزو اياد قومه كتب اليهم شعراً ينذرهم فيه امر كسرى وينبههم الى جمع امرهم واخذ عدتهم فوقع الشعر في يد كسرى فقطع لسانه وغزا قومه وفي شعره هذا يقول

بل ايها الراكب المزجي مطيته ... الى الجزيرة مرتاداً ومنتجعا
ابلغ اياداً وخل في سراتهم ... اني ارى الرأي ان لم اعص قد نصعا
يالهف نفسي ان كانت اموركم ... شتى واحكم امر الناس فاجتمعا

وهي قصيدة طويلة جمعت الى جودة النظم حسن الاستفزاز وجميل النصح وحبذا لوكان حظ مقدمتنا منها كبيرا وان فيها لعزاء لقائلها عن لسانه الذي ماقطع كسرى منه الا سيفا قاطعا وفيصلا رائعا ولا ندري أخانه الشاعر اذ كان مولاه الذي يظله بنعمته واحسانه فالعدل مافعل به أم هو حق العشيرة قضاه وواجب القوم أداه فهكذا يجني على المرء حفاظه ويشقيه وفاؤه

(واشقى الناس في الدنيا الوفيّ)

وآخر ما نذكره من جنايات الشعر ماحدثوا به عن سحيم عبد بني الحسحاس قال بعضهم انه كان يجد ببنت سيده وقال غيره بل كان يكلف باخته فمرضت فقال فيها

ما ذا يريد السقام من قمر ... كل جمال لوجهه تبع
ما يرتجى خاب من محاسنها ... اما له في القباح متسع
لوكان يبغي الفداء قلت له ... ها أنا دون الحبيب ياوجع

قالوا فقتله سيده وقد أخذتني في رواية هذا الشعر ريبة لان عليه مسحة من الشعر المصنوع وحسبنا هذه الاشارة والامر موكول الى ذوي النقد والفطنة. وعندي ان هذا الشعر أو مثله لايبعث على قتل سحيم على انه ربما كان بعض اسباب القتل . واقرب من هذا الى الصواب مارأيته من حديث سحيم هذا . قالوا كان اعجميا غليظا تخرج في الشعر وشاع ذكره حتى اشتري الى عثمان فقال لاحاجة لي بمن اذا شبع شبب بالنساء واذا جاع هجا ورده فاشتراه رجل اسمه ابو معبد فعلق ابنته وانهم خرجوا في سفر فتشوق أبو معبد الى ابنته فكان يتمثل بهذا البيت

عميرة ودع ان تجهزت غاديا ... كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فاكمل سحيم القصيدة بما يزيد عن مئة بيت فمنها في التشبيب بابنة مولاه

وبتنا وسادانا الى علجانة ... وحقف تهاداه الرياح تهاديا
توسدني كفاً وتثني بمعصم ... علي وتحوي رجلها من ورائيا
وهبت شمال آخر الليل قرة ... ولا ثوب الا درعها ورداثيا
فما زال ثوبي طيباً من اريجها ... الى الحول حتى اصبح الثوب باليا

فاراد سيده بيعه فقال شعرا عطفه عليه ثم اراد قومه ان يقتلوه فضن به فدفعه الى الحاكم فعزره ثمانين جلدة فانصرف به وهو ينشد

ابا معبد بئس العراضة للفتى ... ثمانون لم تترك لحالفكم جلدا
كسوني غداة البين سمراً كانها ... شياطين لم تترك قراراً ولا عهدا
أبا معبد والله ما حل حبها ... ثمانون سوطاً زدن قلبي بها وجدا
فان تقتلوني تقتلوا بن وليدة ... وان تتركوني تتركوا اسداً وردا

غداً يكثر البا كون منا ومنكم ... وتزداد داري من دياركم بعدا

فلما رأى مولاه اصراره احرقه وهذا أصح والله اعلم . ولسحيم ابيات حسان نوردها لرقتها وعذوبتها وهي

افاطم قبل بينك متعيني ... ومنعك ما سألت كان تبيني
ولا تعدي مواعد كاذبات ... تمر بها رياح الصيف دوني
فاني لو تخالفني شمالي ... خلافك ما وصلت بها يميني
اذن لقطعتها ولقلت بيني ... كذلك اجتوى من يجتويني

اكل الدهر حل وارتحال ... اما يبقى عليّ ولا يقيني
فاما ان تكون اخي بصدق ... فاعرف منك غثي من سميني
والا فاجتنبني واتخذني ... عدوا اتقيك وتتقيني

انا ابن جلا وطلاع الثنايا ... متى اضع العمامة تعرفوني
وماذا تبتغي الشعراء مني ... وقد جاوزت حد الاربعين

يرحم الله سحيما اتجاوز حد الاربعين وذلك شأنه من الغواية والتشبيب بابنة مولاه والتمادي في عمايته وهواه . أذلك دأب العرب تأبى عليهم رقتهم الا التصابي والتعشق وان سحيما لاقرب الى المعذرة من عبيد بن الأبرص اذ يقول في قصيدة اذكرناها شعر سحيم

الا عتبت عليّ اليوم عرسي ... وقد هبت بليل تشتكيني
فقالت لي كبرت فقلت حقا ... لقد اخلفت حينا بعد حين
ارتني آية الاعراض منها ... وقطت في المقالة بعد لين

ومطت حاجبيها ان رأتني كبرت وان قد ابيضت قروني
فقلت لها ويدك بعض عتبي فاني لا أرى ان تزهديني
وعيشي بالذي يغنيك حتى اذا ما شئت ان تنأي فبيني
فان يك قد مضى عني شبابي واضحى الرأس مني كاللجين
وكان اللهو حالفني زمانا فاضحى اليوم منقطع القرين
فقد الج الخباء على عذارى كان عيونهن عيون عين
يمن عليّ بالاقراب طورا . وبالاجياد كالريط المصون

يقول هذا لعرسه يتحبب اليها طوراً ويتوعدها تارة واني لاود ان يكون كاذباً في تصابيه وما لمن اضحى رأسه كاللجين . والخباء يلجه على العذارى العين . وكذب والله انهن لايمن على عمهن وليس ذو الشيب من اربهن رحمه الله وغفر له اما خاف كيد عرسه اذا لم يخف ان يكذب على نفسه ام تلك ايام لاشبه بينها وبين ايامنا واحلام لاتقاس باحلامنا — انتهى القول عن جنايات الشعر ونكبات الشعراء وليس هذا كلما وقع من هذا القبيل فانك اذا قرأت تراجمهم واستقصيت احاديثهم رأيت الشيء الكثير من تلك الجنايات والنكبات وما رأينا شاعراً قديراً او اديباً كبيراً مات الاميتة مذكورة سيارة انباؤها مشهورة الا من لحظته العناية وحاطته السعادة وكفى بها حيطة ووقاية . وانا الآن ذاكرون لك بعض الذين وقعت في شعرهم كلمات غلبت عليهم فكانت لهم القاباً قامت عندهم مقام الاسماء وهذا شيء تستدعيه مقدمتنا ويتطلبه كتابنا وعندي ان هذه الالقاب من حاجات الشاعر بل هي من خصائصه ان يكون لها الوقع الجميل في نفسه ولامرئ القيس القاب كثيرة من هذا النوع اخصها (ذياد) لقب به لقوله

اذود القوافي عني ذيادا ذياد غلام قوي جرادا

وانما لقب خداش بن الوليد بالبعيث لقوله

تبعث مني ما تبعث بعد ما امرّت حبالى كل مرتها شزرا

وكذلك عوف بن حصين سمي عويف القوافي لقوله

سا كذب من قد كان يزعم انني اذا قلت شعراً لا اجيد القوافيا

ومنهم سالم بن نهابر العبدي غلب عليه (الممزق) لقوله

فان كنت مأكولا فكن انت آكلي والا فادركني ولما امزق

ومنهم عمرو بن رباح ابو الخنساء غلب عليه (الشريد) لقوله

تولى اخوتي وبقيت فرداً وحيداً في ديارهم شريدا

وغير هؤلاء كثيرون لقبوا بمثل هذه الالقاب اكتفينا عنهم بمن قدمنا وما احرى شعراء عصرنا بان يتسموا بهذا الوسم ويجروا على هذا الرسم وقد وضع صاحب عكاظ الادب صديقنا البارع سلاوي بك ابو النصر على بعض شعراء كتابه اسماء والقاباً ليست من هذه في شيء وقد لقبني بصاحب المعجز فشكرته لهذا اللقب كما شكره غيري من ذوي الادب ولو اني جريت على رسم المتقدمين ومضيت على سنن الاولين لجازلي ان القب (بالمزوف) لقولي

ارى منزلاً ملء النواظر حسنه ولكنني عما يشين (عزوف)
اذا كان بعض الناس يجهل قدره فاني بقدري في الرجال عروف

وربما اتينا على مثل ذلك عند ذكر شعرائنا « احمد محرم »